.. وأتهم ثقافتنا المعاصرة !

بقلم محيي الدين اسماعيل

لقد غدا من البديهيات القول بدور الفكر في مسيرة التاريخ وصوغ سننه التي تبدو وكأنها نمط من الانماط الجبرية أو الحتمية ، أو ضرورة من الضرورات المفروضة التي لا تقبل النقض ولا الابرام . على أن دور الفكر ايضاً ليس أقنوما من الاقانيم المطلقة ، في حد ذاته ، وليس القول باثره الحاسم في مسيرة التاريخ استعلاء على نظرية من النظريات أو نقضا لها ، بل هو مواجهة واضحة من خلال المشاهدة الحية للوحة التاريخية الكبرى .. لوحة التاريخ البشري .

ان سقوط الدولة الرومانية الهائلة ، ذلك السقوط الرهيب الذي ترك فراغا هائلا في العالم القديم ، لم يكن سوى ثمرة ذلك التحول الكبير في الفكر الروماني ، بعد أن تصارعت وتفاعلت شتى الافكار وانتهت بدخول الفكر المسيحي الى رحاب تلك الامبراطورية الكبرى .

وان بروز القوة العربية التي أقامت تلك الدولة الاسلامية الشاسعة لم تكن شيئا غير نتاج لتلك الثورة الفكرية والروحية الكبرى التي قامت بعملية تصفية جذرية واسعة لجميع القيم والمعتقدات والمفاهيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي كان يقوم عليها المجتمع العربي انذاك .

وقل مثل ذلك في جميع الانقلابات والتحولات التاريخية في جميع العصور .

ولكن الفكر من حيث هو مواجهة للواقع ، بل ولادة من الواقع وولادة للواقع سواء بسواء ، لا يقفز الى الوجود بغتة دون أن تتم جميع عمليات الاخصاب والحمل والمخاض . وهنا يخطىء - مثلا - أولئك الذين أعجبوا وسحروا بحضارة الاغريق الزاهرة المتألقة ، ومنهم رينان ، ورأوا فيها قفزة انسانية هائلة لا تكاد تسبقها ارهاصات التبرير التاريخي . أنهم في ذلك ينسون كفاح الانسانية الطويل ، على مدى أربعين قرنا أو تزيد ما بين الفرات والنيل قبل بزوغ الفجر الاثيني .

والفكر العربي ، في أعلى حالاته وصوره ، كان نتاج عملية طويلة انتهت باعلان استقلاله الذاتي . ولكي يعلن استقلاله الذاتي بجميع مفاهيمه وتصوراته وقيمه ومثله ازاء الانسان والحياة والكون ، بدأ بمحاولات جادة مسؤولة لفهم واستيعاب قصة القلب والعقل الانسانيين من الجذر ، منذ أن بدأ العرب بالتعرف على مدارس النساطرة واليعاقبة في الرها ونصيبين وانطاكية والاسكندرية ، ومنذ أن بدأوا بنقل الفكر الاغريقي وطرائق التأمل العقلي . ومنذ أن حققوا الصلة بمدارس النساطرة في مجالات الطب والعلوم الطبيعية ، ومدارس اليعاقبة للتعرف على الفكر الافلاطوني والفكر الافلوطيني ، ومدرسة جند نيسابور على الفكر الفارسي القديم ، ومدرسة الاسكندرية للتعرف على علوم الكيمياء والفلك والتنجيم والرياضيات ، ومدرسة حران للتعرف على الفكر الوثني المرفوض عقيدة وروحا من قبل عرب الجزيرة .

هكذا ولد الفكر العربي ، من خلال مناظرات طويلة معمقة ، مع جميع مدارس الفكر انذاك ، فتمثل ما شاء أن يتمثل ، ورفض ما شاء أن يرفض بكل جرأة وبسالة ودون أن يحس بالهزيمة أمام أعلى صور الفكر الحضاري .

فالفكر الفاعل فعلا حقيقيا في مسيرة التاريخ ، والعنصر المولد لاكبر قضايا الانسان المتحضر ، هو ذلك الفكر الذي ينطوي على مفاهيم وقيم ومثل ومواقف ، تؤلف جميعها في ضمير المجتمع قرارا مستقرا واضحا ازاء مسالك المجتمع ووجهتها وتستهدف غاياتها ومراميها . وان هذا القرار وحده هو الذي يقدم للانسان وللمجتمع الاجوبة الكبرى ، ويحدد طبيعة الحضارة وخصائصها .

وبهذا المعيار وحده يقاس عمق الحضارات وارتفاعها . فحضارة اميركا الراهنة ، طبقا لذلك ، لا يمكن أن تعتبر من الحضارات الكبرى في التاريخ الانساني ، لانها تفتقر الى هاتيك المفاهيم والقيم والمثل والمواقف التي يمكن أن تؤلف في ضمير المجتمع الاميركي قرارا مستقرا ازاء الانسان ومكان الانسان من العالم ودور الانسان في التاريخ . ولقد عبر بعض كتاب اميركا ، من أمثال همنغواي ، عن هذا الافتقار المدقع ، فكتبوا تلك الآثار التي عبرت عن معنى الضياع ، والقلق غير المبدع . وتحولت مواقفهم في الحياة الى التعبير عن معان رخيصة في النجاح اليومي . فعندما أراد همنغواي أن يؤكد عظمة الحياة الانسانية وديمومتها ، لم يستطع أن يتخذ موقفا أكبر من أن يرى في كريكي ، بطل الملاكمة ، قوة من قوى ديمومه الحياة البشرية وقدرتها على الانجاز . هذا البطل الملاكم هو رمز العالم عند همنغواي ... انه رفض للضياع والقلق الاميركي ... لماذا ؟ لان فكه قد تهشمت في حلبة الملاكمة ، ولكنه فاز ببطولة العالم في وزن الريشة !

وبهذا المعيار ذاته ، يمكن أن نتأكد من سمو الحضارة الهندية القديمة ، لانها تنطوي على قرار مستقر مطمئن من الانسان ومن مكان الانسان في العالم وارتباطاته بالكون .

وطبقا لهذا المعيار أيضا ، يمكن أن نستجلي الخصائص الذاتية لفكرنا العربي المعاصر ، ومدى قدرة هذا الفكر على تقديم تلك المواقف والقيم والمثل التي يمكن أن تؤلف في ضميرنا العربي قرارا مستقرا ثابتا مطمئنا من الانسان ومن العالم .

وبكلمة أخرى ، هل كان بوسع ثقافتنا العربية المعاصرة أن تكون أساسا لاتخاذ مثل هذا القرار ، بعد أن فقدناه منذ أن بدأ عصر الغربة عن الذات العربية ، في عهود التخلف والانحطاط ؟

ان الذات العربية ، في أعلى صورها وحالاتها ، وبقرارها الذي اتخذته على أساس من قيمها ومثلها ومواقفها وارتباطاتها بالعالم وبالانسان ، كانت تملك القدرة على التحصن ضد الغزوات لترد على جميع تلك القوى الغازية التي تعرضت لها في تاريخها أكثر من مرة .

وليست الذات العربية بدعا في ذلك ، فالشعوب الكبرى ذات الحضارات العظيمة تمتلك جميعها مثل هذه الذات المتحصنة التي تمكنها من خوض كل معركة لرفض التلوث الذي يمكن أن يصيب نقاءها .

والقرار الذي نعنيه هنا ، ليس فلسفة منهجية - كما قد يظن البعض - وليس تعبيراً عن الحكمة التي قد تختزنها الشعوب في ضميرها فيبدو اثرها في المسلك وفي الاداب وفي الفنون ، كما انه ليس حالة من الحالات النفسية للامة ، بل هو هذه جميعها في آن ، اذ تشترك جميع قوى الامة وقدراتها وملكاتها من عقل وانفعال واحساس وضمير وارادة ، في اتخاذ هذا القرار . وتقاس طمأنينة الحضارات ورسوخها وثباتها بالقدر الذي يكون عليه هذا القرار من العمق والسعة والشمول .

وهنا لا بد لنا أن نتساءل : الى أي مدى أسهمت ثقافتنا المعاصرة في تكوين هذا القرار ؟ فمن هنا ، وهنا فقط ، سيكـــون بوسعنا أن نقوم ثقافتنا هذه ، دون أن نجور على أي معيار من المعايير .

ان كاتبا هو الدكتور جميل صليبا قد حاول أن يبحث الفكـــر الفلسفي في الثقافة العربية المعاصرة خلال المائة عام المنصرمة ، فرأى ان : « النهضة التي بدأت في منتصف القرن التاسع عشر قد تميزت بطابعها الادبي قبل كل شيء » . وحاول أن يستكشف أسباب ذلـك فعزا خلو الثقافة العربية المعاصرة من الفكر الفلسفي الى جملة مـــن الاسبـاب منها ـ على رأيه ـ : « ان النهضـــات الادبيه في تاريخ الحضارة متقدمة على النهضات العلمية والفلسفيـــة » . ذلك سبب أول ، ثم عدد ثلاثة أسباب أخرى ، منها وقوف الفكـــر العربي ازاء الفلسفة في عصور الانحطاط موقفا سلبيا لان المشتغل بالفلسفة كـان يتهم فيها بالمروق من الدين ، ومنها اتصاف الدراسات الفلسفيـــة بالتجريد ، وبعد مصطلحاتها الفنية عن الالفاظ السائغة في أسـاليب الادباء ، ومنها ايضا انتشار الجهل في المجتمع .

فهل بوسعنا ، حقا ، أن نقبل هذه الاسباب التي حددها الكاتب لخلو حركتنا الثقافية المعاصرة من العناية بالفلسفة ، هذا الميـدان الشاسع من ميادين كل حركة ثقافية ؟

ان القول بأسبقية النهضات الادبية في تاريخ الحضارات عـلى النهضات الفلسفية بالذات ، وان كان قولا شائعا ، الا ان وقـــائع التاريخ الحضاري لجميع الامم والشعوب ، تنقصه جملة وتفصيلا .

خذ الحضارة الاغريقية مثلا ، فهل يصح فيها ذلك ؟

ان العصر الذهبي للثقافة الاغريقية ، كان فـي عصر بركليس ، وهي الفترة التي عرفت مع شيء من التجاوز الضروري في طرفيهـا ، أسكيلـوس (٥٢٥ ـ ٤٥٦ ق. م.) أبـا التراجيديـا الاغريقيـة وصفوكليس (٤٩٥ ـ ٤٠٦ ق.م) وأرسطوفان (٤٤٤ ـ ٣٨٥ ق.م) ويوريبديز (٤٨٠ ـ ٤٠٦ ق.م.) ، كما عرفت هذه الفترة سقـــراط أبا الفلسفة الاغريقية (٤٧٠ ـ ٣٩٩ ق.م.) ، وقبل ذلك عرفت اليونان انكسمندر (٦١١ ـ ٥٤٧ ق.م.) وطاليس الملیطي (٦٢٤ ـ ٥٦٥ ق.م.) أول من شق طريق البحث العلمي في ظواهر الكسوف والخسوف .

وهكذا يبدو من التجربة الاغريقية ، أن النهضة الفلسفية يمكن أن تعاصر النهضة الادبية ، بل وقد تتقدم عليها زمنيا .

وما ينطبق على الظاهرة الاغريقية ، ينطبق على كثير من الثقافات ومنها الثقافة الفرنسية . فان نظرة واحدة الى السجل التاريخي لها ، يرينا أن عصرا واحدا قد ضم ديكارت وباسكال ومالبرانش وراسيـن وكورني وموليير وكثيرا غيرهم من الفلاسفة والكتاب والشعـــراء والمفكريـــن .

وما يمكن أن يقال في الحضارتين الاغريقية والفرنسية يمكن أن يقال في أية حضارة أخرى كانت لها القدرة على أن تنجب الفلاسفـة والادباء على حد سواء .

ومن البديهي اننا لا نستطيع أن نحتج بالحضارة الروسيـــــة السلافية مثلا ، ذلك لان هذه الحضارة لم تنجب ، في جميع عهودها ، غير اللاهوتيين والمتصوفة والكتاب ، ونذر أن أنجبت فيلسوفا واحـدا ذا شأن . ولكنها استطاعت أن تعبر أقوى تعبير وأروعه وأعمقه عـن طريق الادب والتصوف . كما اننا لا نستطيع أن نحتج بالحضـــارة الانكليزية السكسونية التي عبرت عن ذاتها بالشعر والمسرح ، ولكـــن العهود التي ظهر فيها فلاسفتها ومفكروها ، ظهر فيها أيضـا شعراؤها وكتاب مسرحها وممثلوها .

اذن فخلو حركتنا الثقافية من الفكر الفلسفي ، لا يمكن أن يرجع به الى مثل هذا الزعم القائل بأسبقية الفاعلية الادبية على الفاعليـة الفلسفية في جميع الحضارات .

أما السبب الثاني الذي يضعه الدكتور صليبا تبريرا لخـــلو حركتنا الثقافية المعاصرة مـــن الفكر الفلسفي ، وهو خشية اتهـام المشتغل بالفلسفة بالمروق من الدين ، ولان التهمـة بالالحاد ـ علـى حد قوله ـ كانت تسير جنبا الى جنب مع تعاطي العلسفة علمـــا وتعليما ... أقول ان هذا السبب لا يمكن أن يأخذه مأخذ الجد أي من المطلعين أيسر اطلاع على عناصر الثقافة عندنا في القرن التاسع عشر وما قبـــله من عصور الانحطاط . فلقد كان الايساغوجي لفرفريوس والمنطق الارسطوطاليسي وكتاب الشفاء لابن سيناء وفصل المقال لابن رشد وأمثال هذه الكتب تدرس بشكل مشروع فـي جميع حلقات الدرس ، وكان المثقف آنذاك لا يترك حلقة الدرس الا بعد أن يتم استيعـــاب هذه الكتب .

وأما بالنسبة لاتصاف المصطلحات الفلسفية بالتجريد ، وتفشي الامية في المجتمع ، واعتبارهما سببين لخلو حركتنا الثقافية المعـاصرة من الفكر الفلسفي ، فـــلا أظن ان المصطلحات الفلسفيـــة لم تتصف بالتجريد يوما من الايام أو في حضارة من الحضارات ، ولم تبتعد عن الصيغة الادبية ، ومع ذلك فقد عاشت الفلسفة والى جانبها الادب ، كما اني لا أظن ان نسبة التعليم في فرنسا في القرن السادس عشر كانت أعلى بكثير من نسبة التعليم في أي بلد عربي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ومع ذلك فقد أنجبت فرنســـا عددا كبيرا من الفلاسفة من النسق الرفيع ، في القرن السادس عشر ، وحتى ما قبله .

وان قال قائل بأن الامة ، أية أمة ، قد لا يقدر لها أن تنجـب الفلاسفة والمفكرين للتعبير عن ذاتها ، وعن حضارتها ، قلنا بأن ذلك أمر مقبول ، فلا ريب أن هناك بعض الحضارات قد عبرت عن ذاتهـا بطرائق أخرى غير الفلسفة ، وان الفلسفة بمبناها المنهجي المعروف ليست شرطا من شروط الحضارات الكبرى . فالامة ، أية أمة ، تعبر عن ذاتها وعن أشواقها وعن تصوراتها ومثلها وقيمها بالاسلوب الاوفى بالنسبة اليها .

فالاغارقة ، مثلا ، قد برزوا في كثير من الميادين من شعر وفلسفة ومسرح ونحت ، وان تخلفوا ، نسبيا ، في فنون العمارة والريازة التي

شعـــر

من منشورات دار الاداب

		ف. ل
● الاعاصير	للشاعر القروي	٢٥٠
● وجدتهـا	لفدوى طوقان	٣٠٠
● وحدي مع الايام	» »	٣٠٠
● اعطنا حبا	» »	٢٥٠
● ابيات ريفية	لعبد الباسط الصوفي	٣٠٠
● في شمسي دوار	لفواز عيد	٢٠٠
● الفجر آت يا عراق	لهلال ناجي	٢٠٠
● المشانق والسلام	لعدنان الراوي	٢٠٠
● حداء وغناء	لخالد الشواف	٢٠٠
● عاشق من افريقيا	لمحمد الفيتوري	٢٠٠
● احلام الفارس القديم	لصلاح عبد الصبور	٢٥٠
● اقول لكم	لصلاح عبد الصبور	٢٥٠
● فلسطين في القلب	لمعين بسيسو	٢٠٠
● كلمات فلسطينية	لحسن النجمي	٢٠٠
● بيادر الجوع	للدكتور خليل حاوي	٣٠٠
● سفر الفقر والثورة	لعبد الوهاب البياتي	٢٥٠
● الناس في بلادي (ط. جديدة)	لصلاح عبد الصبور	٢٥٠
● الحياة الحب	لابراهيم محمد نجا	٣٠٠

أخذوها عن مصر وآشور ، ولم يبدعوا شيئا ذا أهمية كبيرة في ميدان التشريع ، وذلك على العكس من الرومان الذين أبدعوا في فنون العمارة وفي التشريع . وحضارة الهند القديمة (الهندوسية) قد تميزت بأن فنها المعماري الهائل الذي ما زال يدرس حتى الان كان في فجر تلك الحضارة ، والحضارة الجرمانية قد خلت أو تكاد من فنون العمارة والنحت والرسم التي امتازت بها ايطاليا ، بينما تفوقت في فن الموسيقى وفي الفلسفة .

ولكن مهما تعددت الاساليب والطرائق في التعبير عن روح الحضارة ، فان حقيقة واحدة كبرى تظل على ما هي عليه ، تلك هي ان الحضارة الكبيرة يصدر عنها فكر كبير . وليس الحق المطلق هو مقياس الفكر الكبير ، بل المقياس هو الاصالة والحماس ، هذان العنصران اللذان تصدر عنهما جميع مولدات العمل العظيم . فالرسامون في عصر النهضة قد أبدعوا أيما ابداع في رسم الخوارق والعوالم الاسطورية والخرافات ، مما ترفضه روحنا المعاصرة في الوقت الذي لا نملك فيه الا الخشوع أمام تلك المبدعات الفنية الكبرى . واننا لنعجب لتلك المبدعات لما تنطوي عليه من أصالة وحماس عميقين ، ولكن أي فنان معاصر يعرض نفسه للسخرية لو أراد أن يحتذي أساليب أولئك الفنانين .

ونعود فنقول ان من الحق ان يقال بأن الابداع الفلسفي ، بمعناه المنهجي ، ليس شرطا من شروط الحضارة الكبيرة ، ولكن يبدو من استعراض الفاعليات الحضارية عند العرب ، ان الفلسفة كانت من اهم قوى التعبير عندهم . فالحضارة العربية في اعلى صورها وارفع حالاتها ، كانت تأخذ بالفكر الفلسفي تعبيرا عن ذاتها ، بالاضافة الى الافصاح عن روحها بالشعر والانشاد . ولقد انجبت اكبر فلاسفتها ومفكريها مع اعظم شعرائها ومنشديها في عهود واحدة ، كما ان الفكر العربي قد قدم عددا من الشهداء في مختلف عصور ازدهاره ، ولم ترهبه اتهامات السوق .

وهكذا فانك لن تستطيع ان تتصور الروح العربية حقا ، دون ان تتعرف على ابن رشد وابن سينا والفارابي والمتنبي والمعري وابن خلدون وابن طفيل والجاحظ واخوان الصفا وابن عربي والغزالي وابي نواس وابن الفارض ... فالفلسفة والفنون الادبية دعامتان رئيسيتان في الحضارة العربية ، وهما اهم مما تحاول ان تقره في الاذهان بعض المحاولات الاستشراقية الخبيثة من ان العمارة العربية الاسلامية وحدها هي اعظم تعبير عن الروح العربية والحضارة العربية ، مع ان العمارة العربية الاسلامية ليست سوى تطوير للفن الفوطي ، والفن الفوطي ليس سوى تطوير للفن الروماني .

وهنا نبلغ النقطة التي ينبغي ان نطرح فيها تساؤلا ملحا حول غياب الفكر الفلسفي في حركتنا الثقافية المعاصرة .

ويمس الدكتور صليبا جانبا من الحق ، في بحثه عن (الفكر الفلسفي في الثقافة العربية المعاصرة) عندما يشير الى الفرق بين موقف العرب المحدثين ازاء الفلسفة الاوروبية وموقف العرب ازاء الفلسفة اليونانية ، فهو يرى ان المحدثين قد ترجموا الكتب الاوروبية لرغبتهم في ان يكونوا للاوروبيين اندادا ، على حين ان القدماء ترجموا الكتب اليونانية لرغبتهم في الدفاع عن العقائد الايمانية . ذلك ما يراه الدكتور صليبا ولكنه يكون اقرب الى الدقة لو انه قال ان المحدثين قد ترجموا الكتب الاوروبية تحت وطأة مركبات النقص والاحساس بالهزيمة امام الفكر الاوروبي بعيدا عن حرية الاختيار الصادق المسؤول، اما القدماء فقد ترجموا الكتب اليونانية وغيرها باحساس من ضرورات العقيدة التي كانوا يحيونها باصالة وصدق ، وبحثا عن قرار نهائي ازاء الانسان والعالم والكون .

ان القدماء ، لم يبدأوا بترجمة الفكر الاغريقي تحت اثقال مركبات النقص ، ويخطىء من يظن انهم ترجموا الفكر الارسطوطاليسي لمجرد ان يثبتوا عقائدهم الايمانية . ان معظم ما وصل الى القدماء من الفكر الارسطوطاليسي قد تمت ترجمته خلال المائة الاولى من العصر العباسي ، كذلك تمت في هذه المائة الاولى ترجمة معظم ما رأوا ان من الضروري ترجمته من الافلاطونية الجديدة وبعض محاورات افلاطون وجميع ما كتبه جالينوس . ولم يقتصر القدامى على ترجمة الفكر الارسطوطاليسي والفكر الافلاطوني وما وصل اليهم من علم الطب ، بل انطلقوا محاولين التعرف على اهم جوانب التراث الانساني في ذلك الحين ، فاهتموا بالازياج وعلم الفلك وما كتبه الهنود في ذلك ، فنقلوا كتاب ((السوهانتا)) وهو الكتاب الذي عرفه العرب باسم « سندهند » اي الدهر الداهر او دهر الدهور ـ كما يقولون ـ وتعرفوا على طرق حساب الاجرام السماوية ، ونقلوا كتب الرياضي الاغريقي ذيوفانتس في علوم العدد والحساب ، كما نقلوا كتاب المجسطي لبطليموس ، وناقشوا ذلك كله ولم يخضعوا لمشاعر الهزيمة امام هذا الفكر والمجالات الرحيبة من المعارف والعلوم ، ويكفي ان نشير الى ان البيروني ، بعد ذلك ، قد كتب كتابا ناقش فيه وجهة نظر الهنود في علم الازياج وعلم الهيئة بعنوان « ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » .

وعلى اية حال ، فان القدامى قد اتصلوا بالتراث الحضاري القديم لجميع الامم ليعمقوا التفكر في خلق السموات والارض . اما نهضتنا الثقافية المعاصرة فكانت محض تظاهرات بزعم أن نكون اندادا للاوروبيين . ومن هنا تصدق ملاحظة الدكتور صليبا من ان انتاجنا في تاريخ الفلسفة متقدم على انتاجنا في الفلسفة العامة وفلسفة العلوم ، والدليل على ذلك غزارة الدراسات التاريخية وقلة الدراسات النظرية.

انتظروا منشورات

دار المصراتي

مؤسسة ثقافية

للطباعة والنشر والتوزيع

طرابلس الغرب ـ ليبيا

شارع جدة المتفرع من شارع الاستقلال

رقم ١٠ ـ ص. ب ٢٥٠٠

اما بصدد اضطراب النقل وفوضاه وغموض المصطلحات الفنية وضحالة الابحاث فجميعها تؤكد هزيمتنا امام الفكر الغربي ، وان المحاولات القليلة التي رأيناها في الآونة الاخيرة لخلق فكر عربي مستقل استقلالا ذاتيا ، لا تذكرنا بشيء سوى بتلك الهزيمة المنكرة امام الفكر الغربي بالذات .

انه ليس بالوسع ان نستعرض هنا جميع تلك المحاولات لندلل على ضآلة المردود الفكري في حركتنا الثقافية المعاصرة ، ولكن بالوسع ان نضرب المثل بالاتجاه الفكري الروحي الذي حاول ان يضيف اليه شيئا مذكورا احد المشتغلين بالحقل الفلسفي في حركتنا الثقافية المعاصرة ، وهو الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي بدأ بتعريف الجيل العربي بالفلسفة الوجودية بعد ان كتب عنها وقدمها الدكتور طه حسين في مجلته التي كان يصدرها باسم « الكاتب المصري » .

ان محاولات الدكتور بدوي ، وهي افضل محاولات عربية معاصرة على الاطلاق ، في هذا الميدان قد اتسمت في كثير من الاحيان بالسذاجة والنقل السريع ، وان معظم ما كتبه في التعريف بالفكر الغربي كان يتسم بالانفعالات المراهقة الطائشة ، وان من يقرأ قصة « هموم الشباب » التي كتبها تحت وطأة الهزيمة المنكرة امام ضغط الفكر الغربي ، يدرك تماما وبوضوح معنى قولنا ان ممثلي حركتنا الثقافية المعاصرة قد عاشوا تحت اثقال مركبات النقص ووطأتها الرازحة ، وسيتساءل قارئوها معي : احقا كان كاتبها جادا عندما كان يتحدث عن حقنات تنشه واشبنجلر التي يحتاج اليها الجيل العربي المعاصر ، ام هي محض الهزيمة النكراء ولا شيء سواها !

قد يقال ان الدكتور بدوي من اولئك الذين اتصلوا بافكار كركيغارد ونتشه واشبنجلر وسارتر ورلكه وتأثروا بها ، والتأثر امر مباح ومشروع . ان قيل ذلك ، وهو قول حق على ظاهره ، قلنا ان التأثر لا يعني ، على الاطلاق ، النقل والهزيمة وضياع الذات . ان التأثر امر مباح ومشروع ، بل هو ضروري ومحتوم في جميع حركات الفكر وفي كل مجالات الحضارة ، ولكن التأثر امر غير النقل والهزيمة وضياع الذات . فنحن نعلم جيدا ان تولستوي قد تأثر في مطلع شبابه بشارلس ديكنز ، وان ايليوت قد تأثر بالفكر الارسطوطاليسي وان المتنبي قد تأثر بأبي تمام ، ولكن واحدا من اولئك لم ينقل عن الاخر . فالتأثر يعني الصلة الروحية التي من شأنها ان تغني قرار الانسان النهائي في معضلاته الانسانية والكونية . ولكن من المؤسف ان تأثرنا المعاصر ما يزال بدائيا ، على سنة التأثر في عصور التخلف والانحطاط، عندما كانت بلاغة الكاتب تقاس بكثرة مقتبساته وتضميناته من القرآن الكريم واداب الاوائل ، مع ان اولئك كانوا ابعد الناس عن التأثر بروح القرآن العظيم وادابنا الكبرى ، وان الامر بالنسبة اليهم لا يعدو ان يكون نقلا ساذجا مسطحا بدائيا .

وما يصدق على اولئك يصدق على حركتنا الثقافية المعاصرة التي لم تستطع ان ترتفع الى مستوى التأثر الاصيل بالافكار الكبرى للحضارات العظيمة من قديمة وحديثة ، من اجل ان تعمق وتغني قرارها الكبير ازاء الحياة والكون .

اننا اليوم نواجه انفسنا باخص ما تكون المواجهة ، وبكل ما فيها من هوان التجربة المخفقة واحتمالاتها ، والدرب التاريخي الذي نجتازه لا يحتمل قط مهرجانات التضليل التي شاركنا فيها جميعا ، فعشنا جميع تناقضات العالم دون ان نستشعر وخزا من ضمير ، او احساسا بالتزام .

ولعل بوسعنا ، بعد ذلك ، ان نعالج جوانب هامة اخرى من جوانب حركتنا الثقافية المعاصرة .

محيي الدين اسماعيل

دار الطليعة تقدم

حرب العصابات
تعبويتها الاساسية وعملياتها
تأليف
ماو تسي تونج
ترجمة
ناجي علوش
كتاب عملي يقدم دروسا هامة في الكمائن واختيار المواقع وكل القضايا العملية التي تهم رجال العصابات

*

مختارات جديدة
١٩٥٢ ـ ١٩٦٧
في مقاومة العدوان الامبركي
ومن اجل الخلاص الوطني
تأليف
هو شي منه
ترجمة
منير شفيق

*

مدخل الى الاستراتيجية العسكرية
تأليف
الجنرال اندريه بوفر
ترجمة
اكرم ديري والهيثم الايوبي
اول كتاب عسكري يترجم الى العربية يقدم معلومات واضحة غنية عن الاستراتيجية العسكرية

منشورات دار الطليعة ـ بيروت

ص.ب ١٨١٣